

## ٤ - لوكريسيا بوجيا

صور من عصر الامبيلا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت لوكريسيا إلى جانب هذه الرعاية الأدبية التي تبذلها لأقطاب الشعر والأدب ، تعاون زوجها في حكم ولايته معاونة قيمة ؛ وكانت تتولى إدارة الشؤون العامة أثناء غيابه ، وتبدي في تصرفها حزمًا وبراعة

وكان زوجها موقفاً في البتتين ، فقد رزقت لوكريسيا بفلامين احدهما في سنة ١٥٠٨ ويدي هرقل ، والثاني في العام التالي ويدي ايوليت ، ورزقت بعد ذلك بمدة أعوام بابنة دعيت أليثور ، فغلام ثالث يدعى فرنشيسكو

وخاضت ايطاليا مدى حين حروباً أهلية طاحنة ، وحملت فيرارا قسطها من هذه المارك ، وتقلبت في صماب وأزمت شديدة ، ولكن لوكريسيا كانت في هذه الأعوام العصية مثال الثبات والجلد ، وكانت تعمل على تخفيف آلام الشعب ما استطاعت ، وكان الشعب يحبها ويبتهرها كالأُم الرؤوم

وكانت لوكريسيا عندئذ في عقدها الرابع ، أمًا نخبجة ، وكأما طوت كل مراحل هذه الحياة فنية ؛ وكانت قد اختتمت منذ بعيد هذا المهند الضاحك الذي كان قلبها يشع فيه مرحًا وغبطة ، واستقبلت عهداً جديداً تسوده الرزاة والخطورة ، ويسوده الزهد والترفع عن متاع هذه الحياة ، فكانت في أعوامها الأخيرة في فيرارا تذهب كل صباح الى « المترف »

أجل ، كانت لوكريسيا تقترب بسرعة من الخاتمة المحتومة ، ففي ١٤ يونيو سنة ١٥١٩ وضعت لوكريسيا طفلة مينة ، وكانت في أشهر حملها الأخيرة تشكو آلاماً مبرحة ؛ وكان الوضع هو الضربة القاضية ، إذ اشتدت عليها الآلام والمرض ، وشمرت بقضائها يدنو ؛ فأملت في يوم ٢٢ يونيو خطاباً وجهته الى ابابا ليون المائر ، وفيه تلتص من البابا أن يباركها في عبارات بليغة مؤثرة ؛ وبعد ذلك بيومين فقط ، كان القضاء المحتوم ،

قال صاحبها : فقلت لها : كأن العلم إفساداً للمرأة ! وكأنه تعليمٌ مَسْرَأَتِهَا ونَقَاتِصِهَا ، لا لتعليم فضائلها ومحاسنها قالت : لا ، ولكن عقل المرأة هو عقلٌ أنى دأماً ؛ ودأماً عقلٌ أنى ؛ وفي رأسها دأماً جوٌ قلبها ، وجوٌ قلبها دأماً في رأسها . فإذا لم تكن مدرستها متممةً لدارها وما في دارها ، تَمَّتَ فيها الشارع وما في الشارع

العلم للمرأة ، ولكن بشرط أن يكون الأبُ وهيبهُ الأبُ أمراً مقررًا في العلم ، والأخُ وطاعةُ الأخ حقيقة من حقائق العلم ، والزوجُ وسيادةُ الزوج شيئاً ثابتاً في العلم ، والاجتماع وزواجهُ الدينية والاجتماعية قضايا لا يفسخها العلم . بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانعَ علميةً للفضيلة والكمال والانسانية ، ويبدأ تاريخُ الطفل بأسباب الرجولة التامة ، لأنه يبدأ من المرأة التامة

أما بغير هذا الشرط فالمرأة الفلاحة في حجرها طفلٌ قدر ، هي خير للأمة من أكبر أديبةٍ تخرج ذريةً من الكتب . . . انظر - « يا عزيزي رغم أنى » - هذه رسالة جاءتني اليوم من صديقتي فلانة الأدبية ال . . . فاسمع قولها :

« وأنا أعيشُ اليوم في الجمال ، لأنى أعيشُ في بعض خفايا الحبيب . . . »

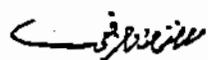
« وفي الحياة موتٌ حلوهٌ لذيذٌ ؛ عرفتُ ذلك حينما نسيتُ نفسى على صدره القوى ، وحينما نسيتُ على صدره القوى صدرى . . . »

أسمت يا عزيزي ؟ إن كنت لما تعلمُ أن هذا هو علم أكثر الفتيات التملعات حين بكسد الزواج - فاعلمهُ . ومتى تمسسى الشعبُ والحكومةُ هذا العمى ، فان حرية المرأة لا تكون أبداً إلا حريةَ الفكرةِ المحرمةِ !

\*\*\*

قلت لصاحبنا : ثم ماذا ؟

قال : ثم هذا . . . ودسَّ يده في جيبه فأخرج أوراقاً كتَّبت فيها رواية صغيرة أسماها : ( الطائشة ) ؟

(للرواية في السده الآتى) (طائشا) 

وآل بورجيا ، ويتحدث عن أطعمتهم وجرائعهم السياسية والاجتماعية ، وعمما يرتكبونه من صنوف العيث والفجور والتهتك ، وعن انتهاكهم لكل الحرمات الدينية والاجتماعية وسحقهم لكل مبادئ الحياء والحشمة ؛ ويتحدث بنوع خاص عن شيزاري بورجيا وجرائمه الدموية ، وعن لوكريسيا وعلاقتها الأنيمة مع أبيها وأخوها ، وعن الحفلات الخليعة الشائنة التي يقيمها البابا وأبناؤه ، ويخص بالذكر حادثة الليلة الماربه التي اجتمع فيها خمسون من غايات رومة عمرة أمام البابا وأولاده وارتكب فيها من صنوف الفحش الثير ما ارتكب وما أشرنا اليه فيما تقدم ؛ ويتحدث بوجه عام عن حالة المجتمع الروماني في ذلك الحين وما بثه اليه آل بورجيا من صنوف الفساد والإثم والروع ؛ كل ذلك في إفاضة ومنطق قوى يدل على تمكن الكاتب من الشؤون التي يتناولها

وقد ترجم هذا الخطاب الذي يبرف بخطاب « سائيللى » إلى معظم اللغات الأوربية ونشر في سنة ١٥٠٢ في جميع العواصم ، وكان له وقع هائل في إيطاليا ، وفي أوربا كلها ؛ وسجلته أيضاً جميع التواريخ والروايات المعاصرة ويرى المؤرخ الألماني جريجوروفثيوس في كتابه « تاريخ رومة في العصور الوسطى <sup>(١)</sup> » في هذا الخطاب وثيقة حقيقية تمثل صورة رومة في عصر آل بورجيا ، وأنه لا تفضلها وثيقة أخرى في تصوير سياستهم الفاجرة ، وما بثوه من الروع في المدينة على يد أعوانهم وجواسيسهم

وزرى هذه التهم مائة لافى الروايات المعاصرة فقط ، ولكن في كثير من الكتب والرسائل السياسية المعاصرة ، وفي شعر بعض أكابر الشعراء المعاصرين

وما زالت سيرة آل بورجيا ، وسيرة لوكريسيا ، بما يتخللها من تلك العصور المروعة المثيرة ، حتى العصر الحديث مستقى القصص والشعر ؛ ولما يخترع القصص أو الشعر فيها شيئاً لم تدونه الروايات المعاصرة ؛ ومع ذلك فإن هذه القطع القصصية أو الشعرية تقوم على كثير من الوقائع المفرقة أو الخيالية المحضة ، التي لا يستطيع المؤرخ أن يقف بها

وصمدت الى يارثها تلك الروح الروابة الساطمة ، وأغلقت لوكريسيا بورجيا عينها الساحرتين الى الأبد ، وقد أشرفت فقط على الأربمين من عمرها

\*\*\*

هكذا كانت حياة تلك التي أنارت في عصرها بشخصيتها الساحرة وحياتها الساطمة كثيراً من الحب والعطف ، والنعمة والروع ؛ ثم غدت سيرتها بعد ذلك على كر العصور مستقى لكثير من القصص الشائق الثير ممأ

والآن ، وقد فرغنا من تتبع هذه الحياة في أدوارها المختلفة ، نعود فنحاول أن نتلس فيها مواطن الحقيقة والخيال

هل كانت لوكريسيا بورجيا تلك التي تصفها الرواية المعاصرة شيطاناً للرديلة والآثم ؟ وهل كانت تلك البنى السافلة التي تنفاب بين أذرع أبيها وأخوها ؟ أم هل كانت ضحية اتهام شائن تمليه الخصومة والحقد ؟

إن هذه التهم الشائنة التي تنسبها الرواية والقصة الى لوكريسيا بورجيا ، والتي أشرنا إليها فيما تقدم ترجع الى الروايات المعاصرة ذاتها ، وهذا ما يسبغ عليها مسحة من القوة ؛ وقد رأينا كيف أن بوركارت مدير التشريفات البابوية يثبتها في مذكراته كوقائع حقيقية ، وقد كان بوركارت بمركزه واتصاله المستمر باسكندر السادس وأفراد أسرته ، ممن يستطيعون الوقوف على الحقائق من مصادرها

وقد حذا حدو بوركارت عدة من المؤرخين والرواة المعاصرين مثل جويشاردينى المؤرخ والسياسى البار ، وقد كان من أعلام العصر ؛ فهو يردد في كتابه « تاريخ إيطاليا » معظم التهم والآثام التي نسبت الى لوكريسيا وإلى آله

ومن أدلة الاتهام المعاصر أيضاً وثيقة خطيرة ، هي خطاب كتب في سنة ١٥٠١ ، ووجهه كاتبه إلى سيلفيو سائيللى ، وهو أحد النبلاء الاقطاعيين الذين نزع اسكندر السادس أملاكهم ؛ وكان ذلك الحين يقيم في بلاط أمبراطور ألمانيا . مستجيراً به ؛ ولم يعرف كاتب الخطاب ، ولكن ذكر في ختامه أنه حرر في نارانتو في المسكر الملكى ( الاسبانى )

وفي هذا الخطاب يمدد الكاتب آ نام اسكندر السادس

(1) Geschichte der Stadt Rom im Mittelalter

وقدمت له الترياق ؛ فتردد الفتى لأنه كان يعتبرها أشد اجرام الموت  
الدوق ، ولكنه شرب الترياق أخيراً ونجا من الموت  
وأرادت لوكريسيا أن تنتقم من الفتيان الفرنسيين الذين  
عرفوها وأذاعوا اسمها ، فاحتالت لدعوتهم إلى العشاء عند إحدى  
صاحباتها ، وبينما هم في أرق لحظات المرح ، إذا بهم يعمون  
أناشيد الحزن ، ومن ورائهم صف من الرهبان والنموش ، فاعتقد  
الفتيان أنها مزحة مدبرة ، ولكنها كانت الحقيقة الرامة ؛ ذلك  
أنهم تناولوا السم في الطعام والشراب ، ولم يبق بينهم وبين الموت  
سوى لحظات ، ولكن شاء نكد الطالع أن يكون بينهم جناروا  
فتقدم إلى لوكريسيا يطلب نمشة ؛ فذهات لوكريسيا ، وحاوات  
أن تبادر إلى إنقاذه ، ولكنه لم يقبل ، ولم يمهلهما حتى أخرج  
خنجره ، وما كاد يطعنهما حتى صاحت : « إني أمك ! »

هذه هي خلاصة قطعة هوجو المسرحية الخالدة التي ما زالت  
منذ نحو قرن تسحر ملايين النظارة ، وهي كما ترى قطعة من  
الخيال المرقق لم يراع الشاعر فيها شيئاً من التاريخ الحق  
ومع ذلك فإن ما كتبه اسكندر ديما وهوجو إنما هو نموذج  
فقط لمئات السير والقصص التي كتبت عن لوكريسيا بمختلف  
اللغات ، وكلها نماذج للخيال المرقق والقصص المثير

\*\*\*

يبد أننا نرى في عصرنا مؤرخاً بارعاً هو العلامة الفرنسي  
فراز فونك برتانو ، يحاول في كتابه الذي أشرنا إليه من قبل  
أكثر من مرة<sup>(١)</sup> أن يتزع شخصية لوكريسيا بورجيا من  
تلك الفجر المروعة التي أحاطت بسيرتها ، وأن يحص تلك  
الروايات المفرقة التي امتزجت بحياتها ، وأن يرد كثيراً من التهم  
التي نسبت إليها

وفي رأى هذا المؤرخ البارع ، الذي يدعم عرضه في معظم  
الأحيان بمنطق خلاب ، أن التاريخ قد ظلم لوكريسيا أشنع ظلم ،  
وأن هذه الفتاة التي صورتها الروايات الماصرة بتمياً فاجرة ، لم  
تكن سوى ضحية وأداة ذلول في يديها وأخيها ، وأنها كانت  
تدفع دفعا إلى مشاطرة هذه الحياة المميرة التي كانت تنظم في قصر  
الفاتيكان ، ولكنه يرد عنها تهم الفجور الذميمة التي نسبت

مثال ذلك ما كتبه اسكندر ديما عن « آل بورجيا » في كتابه  
« الجرائم الشهيرة »<sup>(٢)</sup> ، فقد تناول سيرة آل بورجيا ولوكريسيا  
في فصل طويل فياض بالوقائع والصور المدهشة ، وقدم لنا اسكندر  
السادس ، وابنه شيزاري ، وابنته لوكريسيا في أروع الصور  
وأسفلها : طفمة من الأبالسة ، تسحق الحياة البشرية تحت  
أقدامها ، وتبث الدمار والموت في أرجاء المدينة الخالدة ، بالسم  
والخنجر وكل وسيلة آتمة ؛ وقدم إلينا لوكريسيا في صورة بنى  
سافلة ، تماثر أباهما وتماثر أخويها ، وجمعا كبيرا من الصحب  
والخلان

ووضع فكتور هوجو قطعه المسرحية الخالدة « لوكريسيا  
بورجيا »<sup>(٣)</sup> فجاءت خلاصة من تلك الروايات المفرقة الماصرة ،  
ولا بأس من أن تقدم خلاصتها ليرى القارى كيف أن الشاعر  
لم يلبحظ في مادته إلا أن تكون مثار السحر والروع :

هي قطعة تثرية في ثلاثة فصول ، خلاصتها أن عدة سفراء  
فتيان من فلورنس شهدوا في مدينة البندقية ( فينيزيا ) مرقصاً  
محججاً ، كانت تمثل فيه لوكريسيا بورجيا محججة ؛ وكان معهم  
فتى يدعى جنارو ، وهو فتى مجهول النشأة لا يعرف له أمأ ولا أبأ .  
وجلس الفتية الفرنسيون يتحدثون عن آل بورجيا ويرددون  
ما يذاع عنهم من قصص القتل والآثام الشنيعة ؛ وجلس جنارو  
إلى جانبهم وقد أخذته سنة من النوم ؛ وبعد هنيهة قدمت امرأة  
محججة ، وهوت على جنارو تقبله فاستيقظ من نومه . من هي ؟  
هي لوكريسيا ، وهي أمه ، وهو ولدها الطبيعي ؛ ولم تستطع حين  
رؤيته أن تقاوم هذه اللذة . ورفعت لوكريسيا قناعها لجنارو  
خلسة ؛ ولكن الفتية الفرنسيين رأوها وعرفوها ، وظنوها  
خليته ، واعتزموا زيارتها معه في فيرارا مقامها . وظن زوجها  
(دوق فيرارا) ان جنارو صاحبها ، فأمر بالقبض عليه ، وأراد  
أن يرغم لوكريسيا على اعدامه بيديها بحجة أنه أهان اسم آل  
بورجيا وذلك بإزالة بعض حروفه المنقوشة على شرفة القصر ؛  
ونفذ الدوق مشروعه فعلاً ، فأرغم لوكريسيا على أن تضع السم  
في كأس جنارو ، وأن تقدمه إليه . ولما شرب الفتى الكأس  
السمومة ، تركها الدوق ؛ فبادرت لوكريسيا إلى انقاذ جنارو ،

(1) Les crimes célèbres

(2) Lucrece Borgia

(1) Lucrece Borgia

# التربية الخلقية والاجتماعية

في المدرسة

للأستاذ فخري أبو السعود

في كلمة سابقة بهذا العنوان ذكرت أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق مدارسنا الغرض الأسمى من التربية - وهو التربية الخلقية والاجتماعية - هي خلق مجتمع راق في المدرسة يسام فيه الطالب ويكتسب فيه من محمود الصفات الخلقية ومقتضيات الحياة الاجتماعية ما يخرج به إلى المجتمع طرفاً بمطالبه ، مزوداً بالمؤهلات التي تساعد على الأدماج فيه والنجاح في معتركه وأعود الآن إلى بيان مزايا هذا المجتمع الواجب خلقه في المدرسة ، فزايده لا تقتصر على اختلاط الطلاب بعضهم ببعض لحيد الأغراض ، بل تشمل أيضاً اختلاطهم بالمعلمين ، وهو أمر لازم للتربية الصحيحة ؛ إذ من طبيعة الناشئين الاقتداء بمن أكبر منهم وأخبر ، ومن طبيعة المواهب الانسانية العقلية والخلقية ألا تنمو وتسمو إلا بتقليد أولئك الذين ينظر إليهم الناشئون نظرة إكبار ، ويُحسِن فيهم الاعتقاد ، وتترعرع نفسه إلى التشبه بهم وهذا الاختلاط الجلم المزاي بين الطلاب ومعلمهم سائد في معاهد إنجلترا من المدارس الصغيرة إلى الجامعات الكبيرة ، وأثره في تربية الناشئة الانجليزية أعظم من أثر كل ما ياتي في حجرات الدراسة من معلومات ؛ فالمعلمون يعاملون طلابهم معاملة زملاء الصغار أو الأقرباء الناشئين ، وبهذه الروح يناقشونهم في أوقات الدراسة ، ويشاركونهم ألماهم وحفلاتهم ، ويكون المعلمون لطلابهم العطف ، ويكون الطلاب لمعلمهم الاحترام ، وتسود معاملة الفريقين البساطة التامة ، وأعظم مما لذلك من أثر في تربية الرجولة والصراحة والاعتداد بالنفس بين الناشئين أما في مدارسنا قاهرة بين المعلمين والطلاب سحيقة ، والنفرة شديدة : لا يفهم المعلم من نفسه كل طالب شيئاً كثيراً ، ولا يعطف إلا على النادر منهم ، ولا يعلم الطلاب من معلمهم غير ما يقرئهم عليهم من معلومات لا تنتهي إلا بانتهاء السنة الدراسية ، ولا يضرعون له حباً ولا ميلاً ، بل يستحکم المدا بين الفريقين

إليها ؛ ولا سبها تهمة عشيرة أبيها وأخيها ، ويرتاب في أقوال بوركات وغيره من الرواة المعاصرين ، ويرى أن هذه التهم ترجع في الأصل إلى الحملة القاذفة التي شورها جان سفورزا زوج لوكريسيا الأول عليها انتقاماً لفصله منها ، وإلى الحملات القاذفة التي دبرت أيضاً ضدها وضد آلهما في بلاط نابلي على أثر مقتل زوجها الثاني الفونسو الأرجوني ، وهي حملات ظهر أثرها في نظم الشعراء المعاصرين الذين يغذيههم بلاط نابلي

ويصور لنا برنتانو لوكريسيا فتاة ناعمة وافرة السحر والرفقة ، وافرة الذكاء والحزم ، ويصورها لنا في فيرارا أميرة رفيعة الخلال تحمي الآداب والفنون ، ويكاد يصورها لنا في أمواسها الأخيرة قديسة فياضة الروح والتقوى

وكتاب برنتانو قطعة بديعة من التدليل التاريخي ، وقد يدفع بدقة منطقته كثيراً من التهم التي نسبت إلى ابنة اسكندر السادس ؛ ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يهدم كثيراً من العناصر الأساسية التي تمثل في هذا الاتهام

ومع أننا بالرغم من محاولة برنتانو البديعة ، مازلنا نؤثر ناحية الاتهام في سيرة لوكريسيا بوجيا ، قائما على مع برنتانو إلى الاعتقاد بأن كثيراً من الاغراق والمبالغة يشوب تلك الصور المروعة الآتمة التي تركتها لنا سير المعصر ، عن تلك الشخصية الباهرة المظلمة معاً

محمد عبد الله عثمان  
المحامي

( تم البحث )  
( النقل ممنوع )

ظهر حديثاً كتاب :

## في أصول الأدب

صفحات من الأدب الحلي والآراء الحديثة

بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من إدارة مجلة الرسالة ٣٢ شارع اليبولي - القاهرة  
وثنه ١٢ قرشاً صاعاً خلاف أجرة البريد